خطبة بعنوان:

((التحذير من التشاؤم عموما و بشهر صفرخصوصا))(1)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد ه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

أما بعد:

فهناك عادات سيئة واعتقادات باطلة لا يزال بعض الناس عليها ,يعتقدونها ويعملون بها وهي من عادات الجاهلية ,وقد حذر الله منها في كتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم في سنته ألا وهو التشاؤم.

فبعض الناس لا يزال يتشاءم ببعض الذوات وبعض الطيور والحيوانات وبعض الأيام والشهور كشهر صفر, ويتشاءمون بمجالسة الجنب أو المرأة الحائض وربما يعافون الأكل من فعلها ,ويتشاءم بعض التجار بالدين صباحا زعما منهم أن ذلك يمحق بركة البيع سائر النهار, ويتشاءمون في هذه الأمور يظنون أنها :نحس! تسبب لهم الخسارة والمرض والتعب والمصائب, فهذا كله من الشرك كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

فقد حذر الله سبحانه وتعالى من الشرك عموما ومن الطيرة خصوصا لما في ذلك من ضرر على العبد في عقيدته وفي دينه ودنياه ولما يترتب على الشرك من عقائد باطلة وأضرار جسيمة تعود على العبد بالضرر في دنياه وآخرته.

ولست متكلما في هذا اليوم عن أضرار الشرك عموما وإنما أقتصر على التحذير من نوع واحد من أنواع الشرك وهو التطير.

فقد روى أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطيرة شرك الطيرة شرك الطيرة شرك». والطيرة هي التشاؤم.

---

(1) تلقى هذه الخطبة عند دخول شهر صفرفي أول جمعة منه إن أمكن وإلا ففي الجمعة الثانية.

وسمي التشاؤم بالطيرة لأن العرب في الجاهلية كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بزجر الطير فيزجرأحدهم الطير فإن ذهب يمينا أقدم على عمله وإن ذهب شمالا تشاءم وتوقف عن عمله فسمي التشاؤم تطيرا, ولا يزال بعض الناس يتشاءم بالطيور وبأصواتها إلى يومناهذا والعياذ بالله.

والتطير شرك ينافي التوكل ,لأن المتطير علق قلبه بغير الله من المخلوقات وجعله سببا لحصول الضر أو الشر فصار مشركا .

وأماالمتوكل فإنه يعلق قلبه بالخالق ويعلم أن الخير والشر مقدران من عند الله, فصار موحدا.

وحكم الطيرة قد يكون شركا أكبر وقد يكون أصغر وذلك على حسب ما يقوم في القلب من الاعتقاد, فقد ذكر أهل العلم أنه يكون شركا أكبر إذا اعتقد المتشائم أن هذا الشيء يحدث الشر بنفسه ,ويكون التطير شركا أصغر إذا

اعتقد المتشائم أن هذا الشيء سبب لحصول الشر أو علامة عليه وإنما المقدر له هو الله فصار شركا أصغر لأنه اتخذ سببا لم يجعله الله سببا لا كونا ولا شرعا.

فهو لا يزال واقعا في المحظور حتى وإن اعتقد أن الله هو المقدر لهذا الشر لأنه علق قلبه بشيء وهمي لا حقيقة له, فهذا اليوم الذي تشاءم به أو الشهر أو الطير أو الشخص وغير ذلك من الأمور هي مخلوقة مربوبة مسخرة بتسخيره مأمورة بتسبيحه لا تملك من الأمر شيئا. وليس لها علاقة بالمقادير, ولم يطلع الله هذه الأشياء على شيء من علم الغيب.

فمن وقع في هذه الخرافات واعتقد أن هذه الأشياء سبب لحصول الشر فقد أشرك بالله, ومن ذهب إلى الكهنة والمنجمين ومن كان على شاكلتهم وسألهم عن هذه الأشياء وصدقهم فأخبروه أن هذه الأمور فيها نحس أوهي سبب للشر أوسبب للسعادة فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد روى الطبراني عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ».

وروى البزار عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". وسواء كان التطير بالمرئيات أو بالمسموعات أو بالمعلومات فالحكم واحد وهو الشرك.

فالتطير بالمرئيات مثل التشاؤم بالرجل الأقرع أو الأسود أو الأعرج أو التشاؤم بالمرأة ذميمة الخلقة أو التشاؤم بالثعلب أو الأرنب أوالبوم ونحوها من الطيور.

والتشاؤم بالمسموعات كالتشاؤم بأصوات الحمير أو الكلام أو أصوات الطيور ونحو ذلك.

والتشاؤم بالمعلومات كالتشاؤم بشهر صفر أو شوال أو التشاؤم بيوم الأربعاء أو يوم السبت ونحو ذلك كل هذا من الشرك ويدل على حماقة وجهل المتشائم إذ لا دخل لها بأقدار الله.

فالشرع نفى ذلك كله وأبطله وأثبت التفاؤل وهو الكلام الطيب وشرع ركعتي الاستخارة إذا التبس على العبد شيء فلم يدرِ هل الخير في فعله أم في تركه فيقوم يصلي ركعتين ويدعو الله بدعاء الاستخارة بإخلاص فإن الله سبحانه سييسره له إن كان فيه خير ويهديه إليه, وإن كان فيه شر فسيصرفه عنه ,وهذا مجرب بحمد الله.

ودعاء الاستخارة هو:كما في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ ، وَلاَ أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ ، وَلاَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ : وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ".رواه البخاري

أما التشاؤم ففيه ضرب من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وفيه اعتقاد النفع والضربالمخلوق ,وهذاهو الشرك بالله رب العالمين .

قال الشيخ سليمان النجدي رحمه الله: وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير كان يجلب لهم الأمن أو يدفع عنهم الضر وإذا عملوا بموجبه فإنهم شركوه مع الله. اهـ

والتشاؤم هو من صفات المشركين أهل الجاهلية ومن صفات الأمم المكذبة لرسلهم فقد كانوا يتشاءمون بأنبيائهم ويعتقدون أنهم سبب المصائب النازلة بهم.

وقد وجد في هذه الأزمان من يتشبه بهم فيتشاءم بالصالحين ويعتقدون أنهم سبب نزول المصائب على الناس, وهذه عقائد باطلة.

وقد رد الله على أولئك الأقوام المتشائمين بأنبيائهم: فقال الله عن قوم موسى عليه السلام: {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون}[الأعراف:131]

فأخبرسبحانه أن ما أصابهم هو من الله بسبب كفرهم.

قال المفسر البغوي رحمه الله: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: طَائِرُهُمْ مَا قَضَى الله عَلَيْهِمْ وَقَدَّرَ لَهُمْ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: شُؤْمُهُمْ عِنْدَ الله وَمِنْ قِبَلِ الله، أَيْ: إِنَّمَا جَاءَهُمُ الشُّؤْمُ بِكُفْرِهِمْ بِالله. اهـ.

وتشاءم قوم ثمود بنبي الله صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين فقال تعالى عنهم: {قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ الله بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُون}[النمل:47].

قال المفسر البغوي رحمه الله: أَيْ مَا يُصِيبُكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عِنْدَ الله بِأَمْرِهِ وَهُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْكُمْ ...، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الشُّؤْمُ أَتَاكُمْ مِنْ عِنْدِ الله لِكُفْرِكُمْ. اهـ

وقال المفسر السعدي رحمه الله: أي ما أصابكم إلا بذنوبكم. اهـ

وقال المفسر ابن كثير- رحمه الله - أي يجازيكم على ذلك. اهـ

وتطير أصحاب القرية بأنبيائهم الثلاثة فقال الله عنهم: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيم * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُون} [يس:18] .

قال المفسر السعدي رحمه الله: أي: بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم. اهـ أي: تشاءمتم بنا وتوعدتمونا بسبب أننا ذكرناكم بالله؟!!

وهكذا نقول لمن يتشاءمون بالعلماء والصالحين :ما نزل بكم من المصائب فهي بسبب ذنوبكم , ليست بسبب العلماء والصالحين فأما العلماء والصالحون فإنهم سبب للخير ونزول البركات ,والمفسدون في الأرض هم سبب نزول العذاب.

قال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِير}[الشورى:30]

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ» وفي رواية لمسلم: " وَلاَ نَوْءَ وَلاَ غُولَ". فالنبي صلى الله عليه وسلم نفى تأثير هذه

الأشياء وإن كانت موجودة بذاتها لكنها لا تؤثر بنفسها وليست علامة على الشر ,فنفى العدوى بأنها لا تعدي بنفسها ,وأنها لا تنتقل من شخص لآخر إلا بإذن الله, ولا مانع من الابتعاد عن مجالسة المريض مرضا معديا من باب فعل الأسباب.

فقد روى البخاري عن هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لاَ عَدْوَى ، وَلاَ طِيَرَةَ ، وَلاَ هَامَةَ ، وَلاَ صَفَرَ وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ. ». لكن لا يعتقد أنه يعدي بنفسه.

ونفى صلى الله عليه وسلم تأثير الطيرة ,وبين أن الخير خير الله وأن الطير طير الله والأمور كلها بيد الله، ثم نفى تأثير الهامة وأنه لا يجوز أن يتطير العبد بالهامة وهي طير البوم ولا يزال بعض الناس يتشاءمون بها إذا رأوها أو سمعوا صوتها كما كان أهل الجاهلية يتشاءمون بها.

قال العلامة العثيمين رحمه الله: وفسرت الهامة بتفسيرين:

الأول: أنها طير معروف يشبه البومة، أو هي البومة، تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل، صارت عظامه هامة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه. التفسير الثاني: أن بعض العرب يقولون: الهامة هي الطير المعروف، لكنهم يتشاءمون بها، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت، قالوا: إنها تنعق به ليموت، ويعتقدون أن هذا دليل قرب أجله، وهذا كله -بلا شك- عقيدة باطلة. اهـ

وربما وجد الأمران فيعتقدون في البوم هذا وهذا وكلاهما باطل.

قال ابن عثيمين رحمه الله: ولهذا أنكر بعض السلف على من إذا سمع البومة تنعق قال: "خيرًا إن شاء الله" فلا يقال خير ولا شر ...، قال عكرمة: كنا جلوسا عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. فبادره بالإنكار لئلا يعتقد تأثيره من الخير والشر وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاؤل فإذا نظر ذكر النار تشاءم وإذا نظر ذكر الجنة تفاءل ,وقال :هذا فأل طيب, فهذا مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام. اهـ.

ومن الأمور التي يتشاءم بها الناس شهر صفر فيعتقدون فيه الشر والفقر والمرض والموت فصار بعضهم يسميه شهر الطفر، يعني: الفقر. وبعضهم

إذا تشاءم بشيء كبيت أو عمارة أو سيارة يقول: هذا صفر يعني أنها مشؤومة كشهر صفر بزعمه ,وهذه من عادات الجاهلية إذ كانوا يتشاءمون بشهر صفر.

وشهر صفر كغيره من الشهور يحصل فيه الخير والشر بإذن الله لا علاقة له بشيء من هذه الأمور ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ولا صفر».

قال العلامة العثيمين رحمه الله: شهر صفر كان العرب يتشاءمون به لاسيما في النكاح يعني لا يتزوجون فيه وقوله: "ولا صفر": أي لا شؤم فيه وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير والشر وبعض الناس إذا انتهى من شيء في صفر, آخر ذلك يقول: انتهى شهر صفر الخير وهذا من باب مداواة البدعة بالبدعة والجهل بالجهل فهو ليس شهر خير ولا شهر شر. اهـ.

وبعضهم يتشاءم بشهر شوال فلا يتزوج فيه, والبعض يتشاءم بيوم الأربعاء ويوم السبت وغير ذلك, وربما كان السبب أن الله سبحانه وتعالى قدر شيئا في ذلك الشهر أو في ذلك اليوم فيتشاءمون به, فتصير عقيدة يتوارثونها جيلا بعد جيل, وهذا سبب الجهل أما الأماكن التي توجد فيها الدعوة إلى التوحيد فسرعان ما تضمحل هذه العقائد بفضل الله تعالى.

قال الشيخ عثمان التميمي رحمه الله: قال العلامة ابن رشد المالكي: أصل تطير الناس من يوم الأربعاء ما جاء أنه أول الأيام النحسات التي أهلك الله فيها عادا وأصل تطيرهم من يوم السبت أن بني إسرائيل لما عدوا فيه مسخهم قردة وخنازير... وأما تشاؤمهم في شهر شوال فقد قيل أن ذلك طاعون وقع في شهر شوال فمات فيه كثير من العرائس فتشاءموا بذلك قالت عائشة رضي الله عنها: "تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وأدخلت عليه في شوال فأي نسائه كانت أحظى عنده مني". اهـ وهذا الحديث رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ولا غول": نفى تأثيرها وهي شياطين كان العرب يعتقدون أنها تهلكهم وتضلهم عن الطريق, فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تضر من كان متوكلا على الله معلقا قلبه بالله , وقد تتسلط على من كان قلبه معلقا بها خائفا منها بعيدا عن الله غير معتمد عليه.

قال العثيمين رحمه الله: والعرب كانوا إذا سافروا أو ذهبوا يمينا وشمالا تلونت لهم الشياطين بألوان مفزعة مخيفة، فتدخل في قلوبهم الرعب والخوف، فتجدهم يكتئبون ويستحسرون عن الذهاب إلى هذا الوجه الذي أرادوا، وهذا لا شك أنه يضعف التوكل على الله، والشيطان حريص على إدخال القلق والحزن على الإنسان بقدر ما يستطيع، قال تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ} [المجادلة: 10] . وهذا الذي نفاه الرسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو تأثيرها، وليس المقصود بالنفي نفي الوجود، وأكثر ما يبتلى الإنسان بهذه الأمور إذا كان قلبه معلقا بها، أما إن كان معتمدا على الله غير مبالٍ بها، فلا تضره ولا تمنعه عن جهة قصده. اهـ

ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تأثير الأنواء وهي النجوم فقال: "ولا نوء": وذلك أنهم كانوا يعتقدون الخير والشر بحركات النجوم ويعتقدون فيها السعود أو النحوس وكانوا يستسقون بها وينسبون نزول المطر إليها ولا تزال هذه العقيدة موجودة إلى زماننا هذا عند بعض الناس, ويوجد من المنجمين من يرصد حركات النجوم ويستدل بها على حوادث الأرض وهذا من الشرك .

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُوْمِ; فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ) رواه أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما

فنسأل الله أن يبصرنا في ديننا وأن يرزقنا العقيدة الصحيحة وأن يثبتنا عليها.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه..

أما بعد:

فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الطيرة لما فيها من خلل في العقيدة وسوء ظن بالله رب العالمين ولما تشتمل عليه من أمور وهمية لا حقيقة لها.

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على التفاؤل لما فيه من اعتماد على الله وحسن ظن بالله واستبشار بالخير بخلاف الطيرة التي فيها التشاؤم بالشر وتوقع حدوثه وفيها توكل واعتماد على غير الله.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل بالكلمة الطيبة فيحب أن يسمع الكلام الطيب ويتفاءل بالأسماء الحسنة مثل راشد ونجيح وسهل وسهيل ونحو ذلك.

فقد جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة ".

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - سَمِعَ كلمةً فأعجبتْه فقال: "أخذْنا فَأْلَكَ مِن فِيك".

وعند الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ: يَا رَاشِدُ، يَا نَجِيحُ.

وفي صلح الحديبية تفاءل النبي صلى الله عليه وسلم باسم أحد وفود المشركين وهو سهيل بن عمرو فلما رآه قال: "ما أرى الأمر إلا قد سهل".

فحصل الاتفاق على الشروط وتم الصلح المعروف بصلح الحديبية الذي كان سببا لفتح مكة ونشر الدعوة الإسلامية .

فكل هذه الأحاديث تدل على استحباب التفاؤل بالكلام الطيب لأن فيه استبشارا بالخير ولا ينافي التوكل .

قال ابن القيم رحمه الله: وَالله سُبْحَانَهُ قد جعل فِي غرائز النَّاس الْإِعْجَاب بِسَمَاع الإسم الْحسن ومحبته وميل نُفُوسهم إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ جعل فِيهَا الإرتياح والاستبشار وَالسُّرُور باسم السَّلَام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز وَالظفر وَالْغنم وَالرِّبْح وَالطّيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها. اهـ والفرق بين الطيرة والتفاؤل: أن في الطيرة سوء ظن بالله تعالى وفي التفاؤل حسن ظن بالله وفي الطيرة اعتماد على غير الله من المخلوقات بينما التفاؤل فيه اعتماد على الله والطيرة فيها تشاؤم واعتقاد الشر بالشيء بينما التفاؤل فيه استبشار بالخير واعتقاده من الله. والطيرة تكون سببا لفعل الشيء أو تركه عند المتشائم كما في الحديث: إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك. بينما التفاؤل لا يكون سببا لفعل الشيء ولا لتركه فالمتفائل قادم على الشيء ومتوكل على الله في تحقيقه وإنما يزداد نشاطا بتفاؤله بالشيء والله أعلم.اهـ

وهناك إشكال عند بعض الناس وهو في قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍ}[القمر:19].

فقد يقول قائل هذا يوم نحس وشؤم عليهم!

الجواب: أن هذا من باب الإخباروليس من باب التشاؤم, فأخبر الله أن هذا اليوم وقع فيه عذاب عليهم بسبب كفرهم ومثلها قوله تعالى عن لوط: { هَـذَا يَوْمٌ عَصِيب}[هود:77] أي: شديد.

وقوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ }[فُصِّلَت:16] أي شديدات متتابعات.

ويستشكل بعض الناس حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهوفي الصحيحين أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، وَالفَرَسِ».

فصار بعض الناس يتشاءم بالنساء وبعض البيوت والمراكب ,علماً بأن هذا الحديث ليس فيه إثبات للطيرة ,وإليكم توجيهات أهل العلم حول هذا الحديث:

قال الحافظ المازري في معنى هذا الحديث: أي: أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر من غيرها. اهـ أي: غالب ما يتشاءم الناس بهذه الثلاث.اهـ.

وقال الشيخ عثمان التميمي: وقالت طائفة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجزم بالشؤم في هذه الأشياء بل علق على الشرط فقال: إن يكن الشؤم في شيء ففي المرأة والدابة والدار. وفي رواية: "لا شؤم فإن يكن ففي ثلاثة". اهـ

ويؤيد هذا القول ما رواه الترمذي ابن ماجه عن حكيم بن معاوية رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، يَقُولُ :" لاَ شُؤْمَ ، وَقَدْ يَكُونُ الْيُمْنُ فِي ثَلاَثَةٍ : فِي الْمَرْأَةِ ، وَالْفَرَسِ ، وَالدَّارِ".

ففي هذا الحديث أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عكس الشؤم وهو اليُمن وبين في حديث آخر أن التشاؤم في هذه الأمور من عادات أهل الجاهلية.

فعند البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم:" كان أهل الجاهلية يقولون: إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار".

والحاصل أن الله سبحانه وتعالى يقدر لبعض الناس نساءً أو أولادًا أو بيوتًا تتعب صاحبها من ضيق في البيت أو سوء خلق في المرأة أو نفور في الفرس أو عصيان في الأولاد فيتشاءم صاحبها منها وإلا فهي أعيان كغيرها يقدر الله فيها الخير والشر ولا علاقة لذلك العين ولم يجعلها سببا للخير والشر.

قال ابن القيم رحمه الله: فإخباره بالشؤم أَنه يكون فِي هَذِه الثَّلَاثَة لَيْسَ فِيهِ إِثْبَات الطَّيرَة الَّتِي نفاها وَإِنَّمَا غَايَته إِن الله سُبْحَانَهُ قد يخلق مِنْهَا أعيانا مشؤمة على من قاربها وسكنها وأعيانا مباركة لَا يلْحق من قاربها مِنْهَا شُؤْم وَلَا شَرّ وَهَذَا كَمَا يعْطى سُبْحَانَهُ الْوَالِدين ولدا مُبَارَكًا يريان الْخَيْر على وَجهه وَيُعْطى غَيرهمَا ولدا مشؤوما يريان الشَّرّ على وَجهه فَكَذَلِك الدَّار وَالمرْأَة وَالْفرس. اهـ

وقال العلامة يحيى الحجوري: الشؤم في المرأة سوء خلقها ويزيد الشؤم إذا ارتكبت الفواحش، والشؤم في الدار في ضيقها وسوء جيرانها وخلوها من الطاعات وقراءة القرآن فربما سكنها الجن فيؤذون ساكنيها، والشؤم في الدابة والمركبة صعوبتها وصعوبة ركوبها وإتعابها لصاحبها. اهـ ملخصاً.

فهذا ما يتعلق بالحديث المتقدم الذي استشكله بعض الناس, وأما اعتقاد الشؤم والتطير في هذه الأشياء أوفي غيرها فلا يجوز ,لأن الخير والشر مقدران من عند الله تعالى، فإن حصل الخير فعلى العبد أن يحمد الله، وإن حصل الشر فعليه الصبر والإيمان بأقدار الله والاحتساب للأجرعندالله , فإنما هو ابتلاء وتمحيص, وعلى العبد أن يراجع ذنوبه فهي سبب للمصائب.

ولا يجوز الاعتقاد في هذه الأشياء ولا في غيرها أنها هي السبب للضر والشر فإن هذا من ضعف التوحيد وعدم التوكل على الله.

نسأل الله أن يرزقنا الإيمان بأقداره وحسن التوكل عليه وأن يملأ قلوبنا من توحيده ومحبته ورجائه وخشيته والحمد لله رب العالمين.